

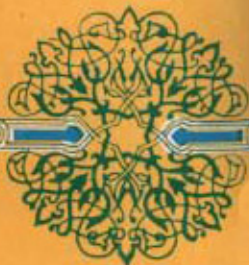
أحاديث إلى الشباب المسلم



منهج الإسلام

في بناء العقيدة والشخصية

الشيخ محمد بن عبد الوهاب



دار الأحياء التراث العربي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
بَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ
مِنْ طِينٍ ثُمَّ عَلَّمَهُ
الْقُرْآنَ وَالْحِكْمَةَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
الْمَاءَ فَجَاءَ بِهِ
الْحَبَّ وَأَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ الْوَحْشَ
فِيهَا لَعْنَةُ اللَّهِ
عَلَى الْفٰكِرِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا ريب أن امتنا اليوم وهى تتف موقف الصمود فى وجه العدو ، بكل ما تمثله التحديات الاستعمارية والصهيونية والماركسية من أخطار ، تحتاج الى مزيد من تعميق مفاهيم الاسلام فى قضايا العقيدة والفكر وبناء الشخصية .

فاليوم تواجه امتنا حملات نفسية ، وفكرية خطيرة تستهدف اول ما تستهدف تدمير مقوماتها الذاتية وشخصيتها العربية الاسلامية وتزييف قيمها ومقوماتها وتحريف اصالتها وصهرها فى بوتقة الاممية والعالمية واخراجها من مزاجها النفسى والاجتماعى .

وقد كشف العدو فى عديد من تصريحاته عن هذا المخطط حاسبا انه وسيلته الاولى لهدم ارادة الصمود ثم ارادة المواجهة والتاثير فى الصلابة والثبات اللذين يصدران اصلا عن ذلك الميراث الضخم من قوى الايمان والاخلاق ومفاهيم التوحيد والجهاد ، وكلها تستمد معيها من الاسلام الذى اعطى هذه الامة كل مقومات بقائها وحياتها وامدها بالقدرة

على مواجهة الأزمات والأحداث بصبر و يقين ، ينتهى بها الى النصر حيث تدور الدائرة على اعدائها وخصومها .

ولقد قابلت امتنا أزمات وأحداثا ومخاطر وقوى ضخمة ، وصمدت في مواجهة الأخطار إيمانا منها بقيمتها ومفاهيمها ، فكتب لها النصر وتحقق لها أن تستأنف دورها في البناء ، وتقديم رسالة التوحيد والحق والعدل .

ولذلك فان من حق الشباب المثقف علينا ان نقف معه وقفة يواجه منها تلك السموم الناقعة ، والشبهات العاتية التي يطرحها خصوم المسلمين والعرب ومازالوا يطرحونها في محاولة لاجراج الاسلام عن مفهومه الاصيل ، او اخراج المسلمين والعرب عن اطار فكرهم ، وعن مضمون قيمهم ليتركوا في دائرة مهومة مضللة ليست من منطلقات فكرهم ، ولا قيمهم وذلك بغية أن يدوروا في حلقة مفرغة فلا يحققون هدفهم من النصر الاكيد .

ومن الحق أن يقال ان اكبر المهام التي تواجه الباحثين اليوم هي تحرير المسلمين والعرب من الدائرة المقفلة التي يريد عدوهم أن يحبسهم فيها وعليهم أن يلتمسوا منطلق فكرهم وقيمهم وطابع ذاتهم ومزاجهم النفسى الاصيل . وعلى الباحثين أن يكشفوا ما استطاعوا وجه الحقيقة وان يحرروا النفس العربية الاسلامية من زيف التفريب والغزو الثقافى وتحديات الاستعمار ومخططات الحرب النفسية

جميعا ، وأن يكشفوا تلك الأخطار الزائفة والمذاهب الوثنية
والمادية ودحض المفتريات التي تتراد بالعرب والمسلمين
وفكرهم ومقوماتهم .

ولا ريب اننا في حاجة الى أن نقدم للشباب المنقف
هذه الحقائق الأساسية كمنطلق للحديث عن أمور ثلاثة هي :
بناء العقيدة ، بناء الفكر ، بناء الشخصية .

أما هذه الحقائق فتمثل في الأصول الآتية :

ان المفهوم الاسلامى قد تكامل تكاملا كليا قبل ان يلحق
الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، وقبل الاتصال
بالفلسفات اليونانية وغيرها بوقت طويل ، وان فهم المسلمين
الأول للإسلام فهما صحيحا عميقا قد اعطى الجماعة الاسلامية
الأولى شحنة دافقة من القوة والايان والتضحية دفعت
المسلمين الى الامام مائة عام كاملة ، ولقد كان الرسول محمد
صلى الله عليه وسلم ولا يزال وسيظل النموذج الأسمى
والمثل الأعلى القائم امام كل المصلحين والمجاهدين والنوابغ ،
والقدوة الأساسية التي رسمت كل صور البطولة والتضحية
والجهاد .

وان الاسلام لم يلبث حين ضعف المسلمون ، وفي مواجهة
أكبر خطرين هما الحروب الصليبية وغزوات القطار ، أن دخل

أرضاً جديدة في جنوب شرق آسيا وفي إفريقيا وافتتح قلوباً جديدة فأضاف إلى معتنقيه أضعاف أصحابه الأصليين .

ولقد كان — ولا يزال — من أبرز قوانين الإسلام ونواميسه التي لم تتخلف : قدرته الفائقة على تجديد نفسه وعلى إعادة صياغة فكره كلما انحرف هذا الفكر ، أو أصابته دخائل تحوله عن جوهره وأنه كان دائماً « كيائناً » حياً قادراً على الحياة والتجدد ، مستطيعاً كلما أصيب بعطب أن يعلو على جراحه ويواصل رسالته . ويكشف التاريخ هذه الحقيقة عن قدرة الإسلام الرائعة على التوسع والتكيف مع المجتمعات والناس والأقطار .

ومنذ ظهر الإسلام وكل حدث في العالم مرتبط به على نحو من الأثحاء ، ومنذ انتشر الإسلام إلى اليوم لم تتغلب عليه نحلة وإن تقلب في عديد من المحن والشدائد .

ولقد حرر الإسلام العقل وحث على النظر في الكون ورفع قدر العلم ، واستطاع أن يواجه موجة المادية الطاغية ،

والإسلام ليس ديناً للمسلمين وحدهم ولكنه روح الفكر والثقافة والتاريخ في العالم الإسلامي كله .

وأعظم ما في الإسلام ، تلك الظاهرة التي تميزت

عن سائر النظم وهى قدرته البارعة فى التوفيق التام بين الروح
والمادة والقلب والعقل والدين والدنيا واقامة منهج الحضارة
على اساس الاخلاق ، وبناء العلم على اساس الضمير .

ولقد التفت الى هذا المعنى كثير من الباحثين الغربيين ،
واشار بعضهم الى هذا حين قال : ان الاسلام هو اسمى
سائر الأنظمة الحديثة لأنه يشمل الحياة بأسرها ، وأنه يهتم
اهتماما على درجة واحدة بالدنيا والآخرة ، والنفس والجسد ،
والفرد والمجتمع . ويقول « جرونيباوم » فى كتابه عن الاسلام :
ان الاسلام نظام دنيوى آخرى ، فى آن واحد ، لا ينفصل
فيه الدين عن الدنيا ولا المجتمع عن الشريعة ، ويقول
« برتراند راسل » فى كتابه الثقافة والنظام الاجتماعى :
ان الاسلام دين موجه للجماعة يتوغل فى حياة الفرد والمجموع
توغلا كليا ، ويقول « أرنولد توينبى » : ان عقيدة التوحيد
التي جاء بها الاسلام هى أروع الأمثلة على فكرة توحيد العالم
وان فى بقاء الاسلام أمل العالم كله .

واكد كثير من الباحثين ان التوحيد المطلق هو علامة
الاسلام بين الأديان وأنه لم يدع كما دعت بعض الأديان
الى الزهد فى الدنيا والانصراف عن ملذاتها والاقبال على
الآخرة ، ولكنه جمع بين الدين والدنيا ، وجعل ذلك كله
فى سياق من الاخلاق الفردية والأخلاق الاجتماعية فهو يقرر :
ان الفرد اساس المجتمع ولبنة من لبنات الأمم . وأنه قد حال

ببسرته ودعوته الى الجمع بين الدنيا والآخرة دون وقوع التناقض بين المثل العليا وبين الحياة العملية فربط الايمان بالعمل ، وربط العلم بالممارسة العملية .

والاسلام ينكر عبادة الجسد وتقديس الشهوة وعبادة الأبطال ويرى أن كل حضارة لا تتركز على الخير والأخلاق حضارة زائفة .

يقول « اميل درمنجم » ان حضارة الاسلام لا تحتقر الأمور الدنيوية ولكنها ترمى الى مثل أعلى رفيع بين الدين والدنيا يباعد بين النفعية والرهبانية على السواء .

ويقول « هاملتون جب » ان الاسلام ليس مجرد نظام من العقائد والعبادات ، انه مدنية كاملة .

ومن هنا فان الحياة الاجتماعية في العالم الاسلامي لا تستطيع ان تنفصل او تنعزل عن روح الاسلام السارية فيها فكرا وثقافة ولغة وتاريخا وتراثا .

أولا : خصائص الإسلام

ودعائم الإسلام تقوم على : عقائد ، وعبادات ، ومعاملات ، وأخلاق .

وتتمثل قيم الإسلام في التوحيد والشورى والحرية والعدل الاجتماعى وكرامة المرأة ، والتقدم والعلم والاجتهاد فى اطار الطابع الانسانى وهدم التفرقة العنصرية .

وأهم ما فى الإسلام هو : التطابق بين الكلمة والسلوك ، وتحويل المعرفة الى عمل : والانتقال من علم « الإسلام » الى عمل « الإيمان » .

وقد اكتملت مفاهيم الإسلام فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ولم تنقص شيئا ، أو تزد شيئا ، وكل ما جاء من بعد كان تفسيرا لها وتوسيعا ، من خلال باب الاجتهاد الذى حقق مقدره الإسلام على تطوير المجتمعات ولم يكن اتصال الفكر الإسلامى بالثقافات الأجنبية مضيفا اليها شيئا فى أسسها أو قيمها الأصلية .

ولقد كان الاجتهاد دعوة الى فتح الطريق لتأكيد تعاليم الاسلام في الالتقاء بالمجتمعات المختلفة ، وايجاد الحلول لكل قضية تجدد للناس مع تغير الزمن واختلاف البيئات مع المحافظة على القيم الثابتة الأصلية .

ان أبرز مفاهيم الاسلام انه لا انفصال بين الدين والحياة ، بين الدنيا والآخرة ، بين الروح والجسم ، بين الواقع والمثال ، فالاسلام يرفض تمزيق الجبهة الفكرية بين العناصر المختلفة .

ويؤكد التقاء كل الأنشطة في اتجاه واحد قوامه :
« وحدة النفس البشرية » .

وبذلك يقضى على كثير من الأخطار التي تواجه الفكر العالمى المضاد ، وأزمات النفس الانسانية ، ذلك أن هذا التمزق الفكرى هو أساس أزمة الانسان الحديث ، ولا ريب ان أزمة الثقة التي يعانيها المثقف المسلم اليوم انما تعود الى اصل واحد ، ومصدر واحد ، هو أن ذلك الانسان قد ترك مقوماته الأساسية وقيمه في نفس الوقت الذى أخذ يواجه فيه النظريات الجديدة والمذاهب العالمية ، ولو أنه التقى بالفكر الإسلامى وهو مسلح بقيمه ومقيم على قاعدته لما وقع مثل هذا التمزق ، ولما واجه مثل هذه الأزمة التي توصف بالضياع .

ولعل أبرز مقومات الفكر الإسلامى الأساسية هى تلك القدرة الدائمة على مقاومة كل عدوان وتأصيل القوة المدخرة وبروزها على نحو مذهل إبان التحدى ، وذلك حتى فى أشد فترات الضعف ، هذا بالإضافة الى القدرة الدائمة على مقاومة كل ما يضاد مفاهيمنا وقيمنا على مدى التاريخ كله : هذه القدرة القائمة على إيمان أصيل .

١ - التوحيد

طابع الإسلام هو « التوحيد » : فهو لبابه ومنهجه وقوامه والقاسم المشترك على قيمه المختلفة والعامل الأساسى الذى يفصل بين الإسلام وبين عديد من المذاهب والفلسفات والعقائد ، التى تقوم على أساس الوثنية أو الإلحاد أو تعدد الآلهة أو انكار الخالق .

وليس التوحيد حديثاً على الإنسانية كما يدعى بعض علماء مقارنة الأديان من دعاة الصهيونية العالمية والماسونية الذين يحرفون الكلم .

فالإنسانية موحدة منذ نشأة آدم عليه السلام الذىلقى إليه ربه التوحيد ومفهوم الإله الواحد ، والتوحيد هو دين الله الحق المنزل على جميع الأنبياء والرسل وهو الدعوة الحقبة التى حملها جميع الأنبياء الى أممهم

حتى انتهت الى صورتها المثلى فى الاسلام خاتم الديانات
والرسالات الى العالمين جميعا ، وقد اكدت جميع الوثائق
والحفريات كذب الادعاء بأن البشرية كانت وثنية ثم اهتدت
الى التوحيد من بعد ، فالحقيقة التى لا شك فيها أن الناس
كانوا امة واحدة وانهم كانوا على التوحيد جميعا ثم ضل
فريق منهم حين عبدوا عديدا من الآلهة وتحولوا بعد التوحيد
الى الوثنية . وقد أشار « أرنست رينان » الى هذا المعنى
حين قال : ان العرب موحدون بطبعهم وأن دياناتهم
هى ديانات التوحيد ، ولقد كانت الديانات السماوية جميعا
على التوحيد فانحرف بعضها ودخل فى فلسفات اليونان
واليهود والفرس ، مما حولها عن طبيعتها .

ومن هنا كانت دعوة الاسلام الحارة المتجددة الى انكار
الرموز أو تقديس الموتى أو عبادة الأبطال والعظماء أو اقامة
القبور الضخمة أو التماثيل أو غيرها من الدواعى التى انحرفت
بالبشرية عن التوحيد من قبل ، وذلك حرصا على بقاء المفهوم
الأصيل الذى نزل به القرآن .

ولقد كان التوحيد ولا يزال فيصلا ضخما وخطيرا
بين الاسلام وبين مفاهيم الفلسفات والمذاهب وما ينسب
الى الأديان المختلفة على نحو يحرر النفس الانسانية من كل
وثنية وعبودية .

والتوحيد في مفهومه الأصيل هو أن يتقى الإنسان ربه في كل أعماله ولا يرى سوى الله وحده سيّدا وهدفاً فليس غيره من يخشى أو إليه يلتجئ أو يستند فإذا عرف الإنسان مفهوم التوحيد معرفة كاملة دفعه ذلك إلى الصدق والخير والشجاعة فلا يرى غير الله ولا يخشى سواه .

ومن هذا المفهوم نفسه يقوم كيان الفكر الإسلامى في مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية . ذلك أن مفهوم التوحيد في الإسلام إنما يرسم دائرة كاملة للمجتمع والفكر الإنسانى كله قوامها سيادة الإنسان للكون تحت حكم الله ، والتقاء القيم الروحية بالقيم المادية ، وارتباط القلب بالعقل ، والدنيا بالآخرة .

وتعطى عقيدة التوحيد للمسلم اعلاء لذاته فلا خضوع إلا لله سبحانه ، فلا يعبد الأفراد ولا الأبطال ولا الرؤساء ولا الصالحين ولا الأولياء ويقدر الناس بأعمالهم لا بأحسابهم ولا مكائنتهم المادية ولا أصولهم ولا انسابهم .

والتوحيد هو الذى يقرر المفهوم المطلق الذى يفتح الباب بين الإنسان والله سبحانه على مصراعيه بغير واسطة أو وصاية .

٢ - الحرية

والحرية في مفهوم الاسلام ان لا يصبح الانسان عبدا لشهواته او عبدا لغير الله ، وقد حفظ الاسلام كرامة الانسان واعلاها عن ان تخضع لسلطان غير الخالق ويأثف من ان يكون الانسان عبدا للانسان وحرص الاسلام على تجريد الانسان من كل عبودية للعباد او الخضوع لغير الله لا فرق بين الكبير والصغير والغنى والفقر والأسود والأبيض .

كما فرق بين حرية السلوك وتنظيم السلوك .

وليست مقومات الخلق وضوابطه قيودا بقدر ما هي وسائل حماية وتوسط بين طرفي الجهود والاسراف .

ومفهوم الاسلام للحرية هو أعلى مفاهيم الحرية حيث تتحرر النفس الانسانية والعقل الانساني من قيود الوثنية وعبادة الفرد والعبودية لغير الله : الاله الواحد ، وقد القى مفهوم الحرية والاسلام امام الانسانية الضوء الصادق فحرر النفس الانسانية من كل قيود العبودية : عبودية الهوى والنفس ، وخلصها من عبادة غير الله .

فالحرية في مفهوم الاسلام ضد العبودية والرق والوثنية والظلم ، وهي حرية الفرد والمجتمع جميعا ، ليست حرية المجتمع على حساب الفرد ولاحرية الفرد الممتاز على حساب

المجتمع والجمهير ، وهى حرية الفكر المنطلق في طريق الحق ، الى الاجتهاد والابداع والتجديد ، له اجر اذا اخطأ وأجران اذا أصاب ، وهى حرية المتدين حيث « لا اكراه » .

والحرية في الاسلام بمعناها الشامل القائم على حماية حريات الآخرين وعلى تقدير التبعة الى جوار تقدير الحرية .

والاسلام يعنى على الذين يستخدمون الحرية من اجل الغرض الخاص ، او الغايات الفردية ، ويعنى على الذين يتبعون الراى من غير ان يعرفوا ادلته ووجه الحق فيه ويأخذ عليهم ان يتمسكوا بالباطل متى استبان لهم .

والاسلام هو اول من دعا الى الحرية بمعنى التحرر من قيد الجهل والخرافة والتقليد في فهم الظواهر والأحداث .

« ولقد كان الاسلام ولا يزال عاملا أساسيا في كل حركات التحرر التى قامت بها الشعوب في عصرنا وان النضالات الوطنية جميعا التى انطلقت تحت راية الجهاد في سبيل الوطن كان الاسلام في هذه النضالات رمزا للمقاومة الروحية والثقافية ضد الاحتلال والاستعمار » (1) .

(1) من بحث لروحيه جارودى .

٣ - الأخلاق

ويشكل الإسلام منهجا إنسانيا متكاملا للفرد والجماعة
قوامه : « العقيدة والشريعة والأخلاق » والأخلاق في مفهوم
الإسلام قاسم مشترك على مختلف القيم الاجتماعية والسياسية
والاقتصادية والتربوية .

ومفهوم الأخلاق في الفكر الإسلامي يختلف اختلافا
واضحا وجذريا عن مفهومه في الأديان والفلسفات الأخرى ،
فهو يقوم على هذا النحو المترابط المتكامل الشامل . وهدف
الأخلاق في مفهوم الإسلام هو : « التقوى » .

وتتمثل التقوى فيه عملا وسلوكا ، ولا تقف عند
الناحية النظرية وحدها ، والأخلاق الإسلامية أخلاق تقوى
بكل ما تحمل كلمة التقوى من معان سلبية وإيجابية بتجنب
الحرام والاقبال على الحلال ، وتعنى التقوى : الوقاية
ومدافعة الخطر واليقظة الدائمة للمحافظة على الأصول
ومنعها من الانحراف .

والأخلاق الإسلامية أخلاق تطبيق وليست أخلاقا نظرية
ومن هنا يخطئ الذين يعتبرون الأخلاق في الفكر الإسلامي
امتدادا للأخلاق في الفكر والفلسفات السابقة له أو للفكر
اليوناني خاصة ، وقد أخطأ المستشرقون الذين الفوا في الأخلاق

وعجزوا عن فهم هذه الفروق الواضحة بين الأخلاق الإسلامية والأخلاق اليونانية وغيرها .

وفي الحق أن الأخلاق الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة هي أخلاق ايجابية تقوم على رقابة الله وتقواه في مختلف التصرفات وتدخل كعنصر أساسي في المجتمع والاقتصاد والسياسة والتربية ولا تنفصل عنها وتستمد كيانها من التوحيد أساسا فلا تنعزل عن الإسلام بل ترتبط به وهي أخلاق تقوى اجتماعية تحمل طابع الايثار والتضحية بجزء من عطاء الله للفرد لمصلحة المجتمع وهي أخلاق قوة وعمل مع المحافظة على رقابة الله واعلاء الخير والبر والوفاء .

٤ - البطولة : وعظمة الرسول

ومفهوم البطولة في الإسلام مختلف عن مفهومها في غيره من المجتمعات والثقافات المختلفة . ويجمع الإسلام بين النظريتين الاجتماعية والفردية ، فالباطل يأتي نتيجة حاجة المجتمع اليه ثم هو يصنع المجتمع آنفا .

والبطولة في الإسلام تتمثل في النبي محمد صلى الله عليه وسلم رسولا من لدن ربه فهو الذي أخرجته الجزيرة العربية ثم هو الذي أخرج الجزيرة العربية من الظلمات الى النور ، وغيرها وغير العالم كله ، وهداها الى مفهوم التوحيد الحق ، باذن ربه ووحيه .

ولقد كانت البطولة العربية قبل الاسلام بطولة الكرم والشجاعة والنجدة ، فاحتفظ لها الاسلام بهذه القيم بعد ان غير مدلولاتها وبواعثها فلم يعد الكرم من اجل المفاخرة به ، او النجدة من اجل المباهاة بها ، او الشجاعة من اجل الظهور بل اصبح هذا كله من اجل التماس مرضاة الله .

ومن ثم فقد نقاها الاسلام من زيف الفخر والمباهاة وحررها من التوجه الى غير الله .

ولقد كان مفهوم الاسلام في تكريم البطولة بمعيدا عن الأبحار ، فقد كرم الاسلام عمل العاملين ولم يكرم الأفراد لذواتهم وبذلك سما بالقيم العملية وحال بين الأبطال وبين التقديس او عبادة الأبطال الذي عرفته الأمم الأخرى .

فالفكر الاسلامي لا يخلد لبطل لحمه ودمه ، او يصنعه من الحجر الجرانيت وانما يخلد عمله ذكره ، وكذلك فهم المسلمون ان البطولة ليست في الفرد ذاته وانما في عمله فاذا اختار الرسول الرفيق الأعلى فعلى الرسالة ان تبقى وتستمر ومن كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، وقد عزل عمر خالدا عن القيادة في أوج النصر خيفة ان يفتن الناس به وليعلموا ان الله هو صانع البطولة والأبطال .

والبطل المسلم يلتمس بعمله وجه الله ولا ينسب لنفسه

شيئا من الفخر والمباهاة ، وقصة صاحب النقب معروفة
ذائعة .

ولقد رسم القرآن الكريم صورة رائعة للبطولة وجعلها
دائما في مواجهة المسلمين ، لتكون العبرة قربية الى نفوسهم
وكان أبطال القرآن أبطال مقاومة لا يستسلمون امام الظلم
ولا يحنون رؤوسهم للعدوان ولا يخافون غير الله .

ولقد كان البطل دوما في مفهوم الاسلام « استجابة »
لحاجة الأمة والمجتمع ، ينبعث في وقت الأزمة ثم هو بعد ذلك
يصنع الأحداث ويقود أتباعه الى مرحلة جديدة على ذروة
موجة من موجات التقدم .

٥ - الرسول

اما سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله فانه قبل أن يكون
بطل الأبطال وأعظم العظماء فهو النبي المؤيد بالوحي الجامع
بين الانسانية والنبوة (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى) .

ولذلك فان نسبته الى العبقرية او البطولة او الزعامة
او غيرها من الصفات والأسماء انما هي اخراج للنبي من أبرز
معانى الايمان به وهى النبوة والاصطفاء والوحي الذى يربط
بين السماء والأرض .

ومحاولة تصوير عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم في سطور قليلة هي محاولة صعبة فهو المثل الأعلى للمسلمين وهو التطبيق العملي للقرآن فقد كان خلقه القرآن وهو الانسان الكامل المؤيد بالوحي ، الصادق المصدوق ، الذى اختارته العرب ليفصل بينهم وحكموه قبل أن يصطفى لرسالة ربه في أمر الحجر الأسود وقالوا : هذا الأمين رضينا ، والذى وصفه ربه فقال : « **وانك لعلى خالق عظيم** » .

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو النموذج الاسلامى للبطل وكانت صورته دائما وتجربته وعمله موضع القدوة والتمثل ، طوال فترات التاريخ الاسلامى ومراحله ، وما تزال وستظل موضع القدوة .

فهو الذى اذا اشتد البأس اتقى الناس به فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ، وهو الذى وجده الناس عائدا من مصدر الصوت على فرس عرى عندما خرجوا يلتمسون الخبر ، وهو الذى وقف في حنين كالطود بعد أن تفرق أنصاره على اثر هجمة مفاجئة من العدو ينادى الناس : « الى الى » وهو الذى كان يفرق دائما بين موقفه في الغار ولا قوة معه ، ويلتمس نصر الله وموقفه في « بدر » ومعها القوة يدعو في وجل من أن يكله الله الى الأسباب ويلتمس نصر الله مجردا وهو البطل الذى لم تذله الأحداث والقائد الذى لم يهزم قط ، وقد ربي خلال ثلاثة عشر عاما قبل الهجرة جيلا من القادة

المغاوير كونهم على البطولة والتضحية والإيمان فاندفعوا بعد الهجرة يحققون كلمة الله ويكتبون صفحة بارعة من المجد .

وهو محمد بن عبد الله « اليتيم » الذى ما كاد يشب عن الطوق حتى رعى الغنم واشتغل بالتجارة وعزف عن مجتمع مكة وتطلع الى دين ابراهيم واتجه الى ربه فكان يقصد غار حراء يتعبد على مفهوم الحنفاء حتى جاءه الوحى على رأس الأربعين فاجتبه الله واصطفاه لحمل خاتم الرسالات وأنزل عليه خاتم الكتب السماوية فكان خاتم الأنبياء والرسل جميعا .

ولقد امضى اقسى اعوامه فى مكة يدعو قومه ويواجه الخصومة والعناد والمكر ، ويلقى وحفنة اصحابه أشد العنت ، وما آمن معه الا قليل ، ولقد صمد لكل ما جربته قريش من وسائل التهر والاعنات ومن الوعد والوعيد دون أن ينالوا منه شيئا وعندما اراد عمه ابو طالب أن يختبر امره قال قوله الفاصلة : « والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن اترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو اهلك دونه ما تركته » ، وأخرجه اهل مكة فهاجر وصاحبته الى يثرب .

وفى المدينة أسس مجتمع الاسلام واقام أمة المسلمين وفى خلال عشر سنوات من الهجرة بايعت الجزيرة العربية

وانقادت ودخل مكة ظافرا فاستقبله أهلها ترجف قلوبهم
فنعفوا عنهم وقال كلمته الخالدة : « اذهبوا فانتم للطلاق » .

ولما دانت له الجزيرة واقام المجتمع الاسلامى اتم الله
كلمته وختم به رسالته وكانت حياته نورا وهدى للمسلمين
ولم تبرح ، وملاذا لكل قائد وبطل ومفكر ومؤمن ، ففيها المثل
العليا والعبرة البالغة على الصبر والايمان والخلق والكرامة
والقوة والحياء .

وهذه شهادة رجل غير مسلم فى النبى تلقى ضوءا كاشفا :

يقول توماس كارليل فى كتابه الأبطال :

« انى لأحب محمدا لبراءة طبعه من الرياء والتصنع ،
لم يكن متكبرا ولكنه لم يكن ذليلا ، فهو قائم فى ثوبه المرقع
كما أوجده الله وكما أراد ، يخاطب بقوله الحر المبين قياصرة
الروم وأكاسرة العجم ، أخرج الله به العرب من الظلمات
الى النور ، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب والمشرق بالمغرب ،
وعم ضوءه الأرجاء ولطالما قلت ان الرجل العظيم كالشهاب
من السماء وسائر الناس فى انتظاره كالخطب ، ان كلمة لا اله
الا الله لترن فى آناء الليل وأطراف النهار فى تلك الملايين
الكثيفة » .



٦ - الفكر الاسلامى

ان بناء الفكر الاسلامى فى اطار الاسلام وعلى قواعده الاساسية من وحدانية الله وسيادة الانسان فى هذا الكون تحت حكم الله وفى ظله ، انما يمثل جوهر الأيدلوجية التى لم تتوقف طوال تاريخ الاسلام والتى لا يستطيع العرب والمسلمون ان يخرجوا عنها .

فالفكر الاسلامى يمثل الفطرة المتكاملة فى الأبعاد الثلاثة التى قرر علماء الانسانية انه لا بد من توافرها لتكوين حقيقة انسانية تجمع الأبعاد الروحية والمادية والعقلية ، روحها العلم والخلق .

والفكر الاسلامى يتميز بأنه مركب وأن كل القيم عناصر ، علاقتها به هى علاقة الجزء بالكل ، ولا سبيل الى فهم عنصر من عناصر الفكر الاسلامى على حدة ، بل لا بد أن تكون العناصر كلها مترابطة متشابكة .

والثقافة العربية هى وليد الفكر الاسلامى .

وتتميز كما يتميز الفكر الاسلامى بذاتية خالصة ، واضحة ، صريحة تختلف كل الاختلاف عن طوابع الثقافات الأخرى .

ولقد أثبت الفكر الإسلامى صلابته واستقلاله وقدرته على البقاء ، فانه فى أكثر من أزمة ، حالت مقوماته الأصيلة بينه وبين السقوط ، وظل محتفظا بذاتيته فى مواجهة الغزو .

والفكر الإسلامى فكر تجرىدى ولكنه يصدر من منطلق الواقع والحياة .

يقول الفيلسوف المسلم محمد اقبال : المسلم لم يخلق ليندفع فى التيار ويساير الركب البشرى حيث سار ، بل خلق لتوجيه العالم والمجتمع والمدنية .

وأبرز ما يتسم به الفكر الإسلامى أصالة نظرية المعرفة عنده ، فقد وضع القرآن أساس المعرفة واستوعب فيها أساليب العقل والذوق والتجربة وجعل منها كلا متكاملا غير قابل للتزق . فتقوم نظرية المعرفة فى القرآن على أساس الكم والكيف والروح والمادة والغاية والسبب ، اذ ربط القرآن بين الحواس والعقل والوجدان ، « كما وضع أهم القواعد التى تحفظ العقل من الزيف وهو عدم تجاوز الحد ، والإيمان بأن الغيب فوق طاقة العقل وقدرته كما دعا الى التقدير والتقرير ، وعدم التعجل فى الحصول على النتائج ، قبل استكمال البحث والموازنة والاستقراء ودعا الى التخصص قبل البحث وعدم المكابرة والعناد ، ودعا الى المراجعة والمعاودة ، كما دعا الى الاستمسك بالحق والبعد عن الغرور والجهر بالحق والدفاع عنه » .

٧ - المعرفة والعقيدة

ويُفرق المفهوم الإسلامى بين المعرفة والعقيدة ، فالمعرفة تتمثل فى الثقافة العامة ، والعالية الشائعة للناس جميعا والتي تمثل التعرف على أنواع المعارف المنتورة فى الثقافات المتعددة وهذه تختلف اختلافا واضحا عن العقائد التى تتصل بأمة بذاتها والتى تتشكل من خلال تراث وقيم وتاريخ ودين وهى تختلف اختلافا واضحا فى كل أمة عن الأمة الأخرى ، وتختلف بين أمم الشرق والغرب ، وتختلف بين المسلمين وبين غير المسلمين ، وبين الشرق والغرب ، وقد تشكلت الأمم منذ قديم من خلال عقائدها وقيمها ولغاتها ومفاهيمها على نحو جعل لكل منها طابعها المتميز .

ولقد قامت أمم فى الشرق على المفهوم الروحى الخالص وقامت أمم فى الغرب على المفهوم المادى الخالص ، أما الأمة الإسلامية فهى تتميز بالتراث التوحيدى الخالص القسائم على منهج متكامل من العقل والوحى ، ومن الروح والمادة ، ومن العلم والدين ، ومن الدنيا والآخرة .

ومن هنا فقد كان من الضرورى لأمتنا وهى مفتوحة بالنوافذ للمعارف المختلفة أن تكون على إيمان واحد بعقيدتها التى تحكم النظرة الى كل أمورها ، فهى دائما على وعى بالفرقة الواضحة بين المعارف والعقائد .

٨ - منهج العلم التجريبي

ومن هذا المطلق انشأ العلماء المسلمون : المنهج العلمي التجريبي ، وهو منهج اسلامي اصيل من ثمرات الحضارة الاسلامية وهو يتخطى المنطق الأرسطي ، القائم على القياس ويتجاوزه ، فقد انشأ الاسلام منهجاً يعبر عن خصائص حضارته وفكره ، هو المنهج التجريبي ، وليس ذلك غريباً فقد جعل الاسلام طلب العلم فريضة ودعا القرآن الى النظر في الكون .

وعلى سبيل الحق وليس على سبيل التجاوز نرى القرآن مصدر العلوم جميعاً ، علوم الدنيا وعلوم الآخرة ، وربما شك البعض في أن القرآن مصدر علوم الدنيا كالفلك والطب والهندسة والرياضيات ومن هنا لابد من ان نقول :

ان القرآن هو الذى انشأ المنهج العلمى التجريبي الذى هو أساس الحضارة الحديثة وأن دعوة الله سبحانه وتعالى للمسلمين في القرآن : « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » (سورة يونس ١٠١) كانت فتحة لهم دفعهم الى دخول هذا المجال .

ولسنا نحن الذين نقول ذلك عن انفسنا ، ولكن هم الأوربيون انفسهم ، في شهادات كثيرة اقدمها شهادة جوستاف

لوبون في كتابه « حضارة العرب » وأقربها شهادة الدكتور
سجريد هونكة في كتابها « شمس الله تشرق على الغرب »
وهذه واحدة من هذه الشهادات ، سجلها بريفولت في كتابه
« بناء الإنسانية » ، يقول : ليس ثمة ناحية واحدة من نواحي
الازدهار الأوربي يمكن أرجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة
الإسلامية بصورة قاطعة ، فان هذه المؤثرات توجد أوضح
ما تكون وأهم ما تكون في تلك الطاقة التي تكون ما للعلم
الحديث من قوة متميزة ثابتة ، ان ما يدين به علمنا لعلم العرب
ليس فيما قدموه لنا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة
فحسب ، بل يدين هذا العلم الى الثقافة العربية بأكثر من هذا :

« انه يدين لها بوجوده نفسه » .

ويقول « برتراند راسل » : ان العرب كانوا أميل
الى التجريب من الاغريق وخاصة في الكيمياء ، ويقول الدكتور
عمر فروخ وهو من المتخصصين :

« ان المسلمين تسد قلبوا العلم اليوناني والفلسفة
اليونانية رأسا على عقب ، فقد كانت معرفة اليونان بالنجوم
خرافات في الأكثر ، ومحالات في الأقل ، وكان منقولاً
من المصريين والبابليين ، فقد استطاع الفكر الإسلامي أن يجعل
من النظر الى النجوم علما صحيحا وأنكر خرافاته » .

وأبرز المفاهيم في هذا الصدد : أن قيم الإسلام لم تكن

حائلة ولن تكون دون التقدم العلمى بل كانت مُصدرا
من مصادره فقد جمع الاسلام وهو ما تفرد به بين جرية
الفكر واستقامة الدين .

٩ - حضارة الاسلام

وعلى قاعدة العلم والأخلاق اقام الاسلام حضارته
الباذخة . يقول ليوبولد فابس (محمد أسد) : « انفردت
حضارة الاسلام وحدها بانبجاسها الى الحياة دون سابق
عهد أو انتظار ، وقد جمعت في فجر نشأتها كل المتومات
الأساسية لحضارة مكملة شاملة فقامت في مجتمع واضح
المعالم له نظريته الخاصة الى الحياة وله نظامه التشريعى
الكامل وله منهجه المحدد لعلاقات الأفراد بعضهم ببعض ،
داخل هذا المجتمع ، كانت هذه الحضارة وليدة حدث تاريخى
فريد هو تنزيل القرآن الكريم وكان مردها الى رجل فذ
في التاريخ هو محمد رسول الله ، وقد جاء الاسلام نظاما
شاملا للحياة قد افتتح حقا حضارة جديدة » .

وعندنا أن القرآن الكريم قد حمل بذور الحضارة حين دعا
الى العلم والعقل والبرهان وهو ما حقق مقام « المنهج التجريبي
الاسلامى » : حجر الزاوية في بناء الحضارة البشرية الراهنة .

وقد رسمت حضارة الاسلام منهجا ثابتا تقوامه النظرة

الإنسانية وطابع التوحيد والعدل والإخاء ، وتميزت بتلك النظرة الشاملة الى الأخلاق والدين ، وذلك المنهاج الاجتماعى المتميز ولم تستطع المؤثرات الطارئة أن تغير من خصائص الاسلام فيها .

وقد اتسمت الحضارة الاسلامية بالسماحة والانسانية والعالمية فقد حرصت على توفير الحرية لغير المسلمين واحترمت شعائرهم وفتحت امامهم ابواب المناصب وأعطت المرأة حقها وحريتها ، وربطت بين الروح والمادة وربطت العلم بالدين والسياسة بالأخلاق ، وقد تميزت بطوابع عدة أهمها : أنها رفضت ما خالف التوحيد ، وحافظت على مقوماتها الأساسية وكرمت العقل وشرفت العلم ولم تنس التكامل بين العقل والوجدان .

وقد قدم المسلمون فى مجال الحضارة اضافات بعيدة المدى فى مجال العلوم الكيماية والطبيعية ، كما اضافوا فى مجال العلوم الانسانية وكذا فى الطب والفلك والصيدلة والملاحة والجغرافيا وفى علوم البحار والصوت والضوء وفى الأرقام والحساب وفى الجبر وفى المراصد وآلات الاسطرلاب وصناعة الورق ، ففى الطب عرفوا طبيعة كثير من الأمراض كالجدرى والحصبة واستعملوا الأمصال فى معالجة بعض الأمراض ووصفوا تشريح الجسم الانسانى وصفا دقيقا ، وعرفوا العقاقير فسجل ابن البيطار ألف عقار لم نعرفها اليونان وقد اكتشفها

العرب وحددوا مَنافعها ومضارها . و ألف أبو القاسم الزهراوى كتابه فى الطب والجراحة فى عشرين مجلدا ، واطباء الإسلام هم أول من فنتت الحصى فى المئانة وسدوا الشرايين الناظفة وكتبوا فى الجذام والحصبة والجدرى وعدوى الطاعون واسعملوا المرقد (البنج) فى العمليات الجراحية والأطباء المسلمون هم أول من كئشف النقباب من الدورة الدموية ودودة الإنكلىستوما كما صحح الأطباء العرب آراء بقراط وجالينوس فى التشريح ووظائف الأعضاء .

وعرف الفكر الإسلامى التطعيم ضد الجدرى واستخدم الأطباء المسلمون عفن البنسلين وعيش الغراب كمرهم ، أما طب العيون فهو من صناعة العرب وقد ظلت تذكرة العيون العربية تستخدم حتى القرن التاسع عشر وقد احتل المسلمون المركز الأول فى مجال الطب فترة تزيد عن خمسمائة عام .

وفى المجالات الأخرى نجد اضافات باهرة ، فقد اخترع المسلمون الساعة الدقاقة والزوالية واكتشفوا قوانين ثقل الأجسام وعرفوا تركيب النار اليونانية واستخرجوا قوة البارود الدافعة واستعملوا الآلات القاصفة واتقنوا من تسقية الفولاذ وهم أول من استخدم البوصلة فى الملاحة ، واكتشفوا الابرة المغناطيسية التى انتقلت الى أوربا فى القرن الثانى عشر ونقلوا القمح الأحمر ومشاثل النخيل .

وهم الذين وضعوا أصول علم الجبر وحساب المثلثات

وَبَسَطُوا عِلْمَ الْحِسَابِ الْإِغْرِيْقِي وَنَقَلُوا الْقِطْنَ إِلَى الْإِنْدَلُسِ
وَكَانَتْ عُلُومُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجُغْرَافِيَا وَالْفَلَكَ هِيَ صَاحِبَةُ الْفَضْلِ
الْأَكْبَرِ فِي الْكُشْفِ عَنِ الْأَمْرِيْكَيْنِ .

كما كان للفكر الإسلامي إضافاته البارزة في مجال العلوم
الإنسانية : (الاجتماعية ، والسياسية والاقتصادية) .

فقد قدم ابن حزم نظرية المعرفة الإسلامية وقال : ان المعرفة
تتكون بشهادة الحواس وبأول العقل (أى بالضرورة) وبالعقل
من غير استعمال الحواس وببرهان راجع من قرب أو بعد إلى
شهادة الحواس وبذلك حل ابن حزم أعظم مشكلة في تاريخ
نظرية المعرفة ، هذه المشكلة التي جاء مؤرخو الفلسفة الحديثة
فأخذوها غنيمة باردة ، كما أنشأ الإمام الغزالي (علم النفس
الإسلامي) حين قرر أن السلوك الإنساني يقوم على شهوة
الطعام تمتد إلى سائر الشهوات .

أما ابن خلدون فقدم لعلماء البشرية سبقاً حاسماً حين
وضع أساس علوم ثلاثة هي : التاريخ والاجتماع والاقتصاد
السياسي ، أما ابن مسكويه فقرر نظرية التطور قبل دارون ،
ووضع المفكرون المسلمون أسس النظرية الاقتصادية العصرية
قبل أن يعرفها الفكر الأوربي بألف عام على الأقل ، وأعلن

ابن رشد وحدة العقل البشرى ، وقدم الامام الشافعى نظرية التعايش السلمى وتوصل الشاطبى الى نظرية التعسف فى استعمال الحقوق ، وسبق ابو العلاء - دانتي الى كتابة الكوميديات الالهية ، وسبق الطرطوشى ميكافيلى فى وضع اساس السياسة فى كتابه الأمير وأثر البخارى وعلماء الحديث فى بناء منهج التاريخ الأوربى الحديث وبعد وفاة البخارى بحوالى عشرة قرون بدأت فكرة تحديد منهج للتاريخ تظهر فى اوربا ونقله الشرقيون على أنه أمر جديد وهو مأخوذ أساسا من منهج المحدثين المسلمين وشيخهم البخارى .

وسبق الفكر الاسلامى علماء الغرب فى مجال كتابة المكوفين التى عرفت بالحروف البارزة فقد عرف العلماء المسلمون هذه الطريقة وسجلها على بن احمد بن يوسف وسجل الباحثون أن الفارابى سبق (انشتين) الى بعض النظريات فى نطاق نظرية النسبية وأن الغزالى سبق (هيربرت سبنسر) فى تخطيط الدولة والمدينة وقارن بين كل منهما وبين جسم الانسان .

وقد حدث كل هذا وسجله علماء اوربا اليوم واعترفوا به ، أما المسلمون فما زالت مناهجهم التعليمية والجامعية لا تشير الى هذا السبق ، وكان أولى بهم أن يسجلوه فى مجال دراسات علم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية جميعا .

* * *

١٠ - اللغة العربية

ولقد كانت اللغة العربية من أبرز مقومات الفكر الإسلامى والحضارة العربية ، وقد كان سر عظمة اللغة العربية على التاريخ المتصل هو ارتباطها بالقرآن .

فاللغة العربية هى لغة العرب ولغة الإسلام نفسه ، فهى تمثل فكر الشرق الإسلامى بكل ما فيها ، ولا ريب أن الإسلام أساس من مقومات الفكر عند الأتراك والفرس والأفغان والباكستان والملاويين .

وقد كانت معجزة القرآن أنه جمع الأمم التى تتكلم العربية فى أسرة واحدة ، وقد عرفت اللغة العربية بغناها الذى لا حد له : يقول الخليل بن أحمد فى كتاب العين : ان عدد ابنية كلام العرب ١٢ مليون و ٣٠٥ ألف و ٤١٢ كلمة ، ويقول الحسن الزبيدى : أن ما يستعمل من ألفاظها لا يزيد عن ٥٦٢ لفظا ، وعندما نزل القرآن أزاحت العربية السريانية ، والكلدانية ، والنبطية ، والأرامية ، واليونانية ، والقبطية قبل أن ينقضى قرن واحد ، فلما بلغت القرن الثالث الهجرى تحولت الصلوات فى الكنائس اليها ، ثم كتبت بها اللغات التركية والفارسية والأوردية والأفغانية والكردية والمغولية والسودانية والابجية والساحلية ، كما كتب بها لغة أهل الملايو وقد حدث هذا من ألف عام .

ثم دخلت الى اللغات الأوربية كالفرنسية والألمانية والانجليزية ، وفي اللغة الانجليزية وحدها اكثر من ألف كلمة عربية .

واللغة العربية من الناحية العلمية تفوق أضخم اللغات ثروة واصواتا ، ولقد كتب جول فيرن الروائي المشهور قصة خيالية عن قوم شقوا في اعماق الأرض طريقا الى جوفها فلما خرجوا سجلوا أسماءهم باللغة العربية فلما سئل في ذلك قال : اعتقد انها لغة المستقبل .

وللغة العربية دلالات واضحة : فان كلمة الوفاء منها تشغل من لسان العرب أربع صفحات كاملة من الجزء العشرين ، بينما لا توجد كلمة الوفاء في بعض اللغات أصلا .

يقول عمر بن الخطاب : ان اللغة العربية تثبت العقل وتزيد في المروءة لأنها لغة أمة استغنت بالأخلاق في بداوتها عن القوانين ، والأنظمة المكتوبة .

ويجمع الباحثون على انه ما من فن أو علم أو معنى من شعر أو نثر يتحدث فيه الناس في أدب من الآداب الا وله ضريب في اللغة العربية ، وقد جمع أحد الباحثين مائة وثماتين صورة من المقابلات بين الأدب العربي والآداب الأوربية بينما وجد بضعة وثلاثين صورة في الأدب العربي لا ضريب لها في الآداب الأخرى .

ويقول (بول كراوس) : لا لغة عربية بدون القرآن .

ويسجل (سيدلو) ان اللغة العربية حافظت على صفاتها بفضل القرآن .

ويقول ارنست رينان :

« ان من اعجب ما وقع في تاريخ البشر وصعب حل سره انتشار اللغة العربية ، لقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادية ذى بدء فبدأت فجأة في غاية الكمال ، سلسلة أى سلاسة ، غنية أى غنى ، كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ يومها ذلك أى تعديل مهم ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة .

ظهرت الأول امرها تامة محكمة ، ولم يمض على فتح الأندلس أكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم بالعربية ليفهمها النصارى ، ومن أغرب المدهشات أن تثبت تلك اللغة القومية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرحل ، تلك اللغة التى فاقت اخواتها بكثير مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها ، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم ، ومن يوم علمت ظهرت لنا فى حلل الكمال الى درجة انها لم تتغير أى تغير يذكر ، حتى انه لم يعرف لها فى كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة ولا نعلم شيئاً عن هذه اللغة التى ظهرت للباحثين كاملة من غير تدريج وبقيت حافظة لكيانها خالصة من كل شائبة .

ويقول العلامة مصطفى صادق الرافعي : « ان العربية لغة دين قائم على اصل خالد هو القرآن الكريم وقد اجمع الأولون والآخرون على اعجازه الا من لا حفل له من زندق يتجاهل أو جاهل يتزندق ، ثم ان فصاحه القرآن يجب ان تبقى مفهومة ولا يدنو الفهم منها الا بالمران والمزاولة ودرس وقائعا وفنون بلاغتها والحرص على سلامة الذوق بها . وكل هذا يجعل الترخص في هذه اللغة وأساليبيها ضربا من الفساد والحال الخاصة في فصاحة هذه اللغة ليست في الفاظها ولكن في تركيب الفاظها » .

١١ - القرآن الكريم

واذا كان القرآن هو المصدر الأول والمنبع الأصيل للإسلام وللفكر الإسلامى فقد حق أن نقول عنه انه ليس كتاب دين فحسب ، كما يقولون ، أو كتاب مواعظ كما يدعى الشعوبيون والتغريبيون ، ولكنه النبع الثرى الذى واكب الإسلام خلال ثلاثة وعشرين عاما وكان كماله ختاماً لحياة الرسول واتماماً للدين .

« اليوم اكملت لكم دينكم واتممت بعلينكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

وانما هو منهج شامل لأمور الدنيا والآخرة : اعظم مناهج

العقيدة والشريعة والأخلاق ، فالاسلام ليس دينًا فقط ، ولكنه دين ونظام حياة ، لا تنفصل فيه العلاقة بين الله والانسان عن الصلة بين الانسان والانسان وهو ينظمها جميعا ، ولقد حفظ الله القرآن من أن يطرأ عليه تحريف أو تغيير ، فهو الوثيقة الخالدة والمرجع الاسنى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

وقد اعطى القرآن العلوم كلها (دنيوية وأخروية) من عطائه ، واعطى اللغة والفقه والتاريخ والحضارة والفن والسياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية (1) .

وما من امر يعرض للمسلمين من أمور حياتهم الا وجدوا له في القرآن أصلا وطريقا (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وأصول العلوم كلها من القرآن ، علوم العقائد والعلوم الانسانية وعلوم الطبيعة والكيمياء ، ومع ذلك فهو ليس كتاب تاريخ ولا كتاب علم ولا كتاب فلك ولكنه كل ذلك جميعا ، فقد رسم الحق تبارك وتعالى في القرآن « أصول المناهج » ووضع الخطوط العامة للفكر والحياة ، وترك للانسانية على المدى الطويل أن تشكل نفسها في كل عصر على النحو الذي يناسبها داخل اطار الاسلام .

والحديث عن الاسلام يطول وله مكانه ، وأبرز ما يقال :

(1) . راجع كتاب : القيم الأساسية للفكر الاسلامي .

ان الإسلام قد أعطى الانسانية منطلق النظرة العقلية والعلمية
حين قال :

« قل هاتوا برهانكم » .

فدعا الى رفض كل ما ليس هناك برهان عليه ، وأبكر
وزيف الأساطير والأوهام والخرافات التي عاش عليها الناس
طويلا .

وبشهادة الذين عرفوا القرآن من الباحثين :

« ان القرآن حفظ التفاهم بين الشعوب الاسلامية
وغيرها من الشعوب ، وحفظ اللغة العربية من أن تتمزق
الى لهجات ، فقد استعصت اللغة العربية بفضلها على نكبات
الدهر ورسخت رسوخ الجبال الشم الرواسي ، ولولا القرآن
لما انتشرت اللغة العربية ولما بقى التفاهم ميسورا مع فكر
أربعة عشر قرنا ، بينما اللغات الآن في العالم كله لا تستوعب
الا فكر قرنين او ثلاثة ، وخاصة لغات أوربا » .

يقول العلامة ايتان دينيه (الذي اسلم وتسمى ناصر
الدين دينيه) : « لو عاد أصحاب الرسول اليوم الينا
لكان ميسورا لهم ان يتفاهموا تمام التفاهم مع أهل اللغة
العربية ، وهذا عكس ما يجده مثلا الفرنسيون اليوم مع أهل

القرن الخامس عشر الميلادي الذين هم اقرب الينا من عصر القرآن .

١٢ - الشريعة الاسلامية

ولقد قدم القرآن الى الانسانية : اعظم عطاء ، وهو الشريعة الاسلامية .

ولسنا نقول راينا كمسلمين في الشريعة الاسلامية ولكننا ندع غيرنا يقول كلمة الحق ، يقول العلامة شيريل ، عميد كلية الحقوق بجامعة فينا :

« ان البشرية لتفخر بانتساب رجل كمحمد اليها ، اذ انه رغم اميته فقد استطاع قبل بضعة عشر قرنا ان ياتي بتشريع سنكون نحن أسعد ما نكون لو وصلنا الى قمته بعد الفى عام . »

ويقول (فمبرى) : « ان فقهم واسع جدا الى درجة اننى اقضى العجب كلما فكرت فى انكم لم تستنبطوا منه الانظمة والاحكام الموافقة لبلادكم وزمانكم » ويقول (جوتة) : « اية شريعة لم تتمكن من ان تعلو فوق شرع محمد ، وان التشريع فى الغرب ناقص على الرغم من تقدمه ، ناقص بالنسبة للتعالم الاسلامية ، واننا اهل اوربا بجميع مفاهيمنا لم نصل بعد الى ما وصل اليه محمد وسوف لا يتقدم عليه احد . »

ويقول العلامة (سانتلانا) في كتابه الفقه الاسلامى المطبوع فى تونس ١٨٩٩ : « ان فى الفقه الاسلامى ما يكفى المسلمين فى تشريعهم المدنى ان لم نقل ان فيه ما يكفى الانسانية كلها » .

ولقد تأكدت هذه المعانى جميعها على نحو واضح حينما عقد مؤتمر لاهى للقانون الدولى عام ١٩٣٧ وقرر المؤتمر بعد دراسة واسعة واسعة للشريعة الاسلامية :

اولا : اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع الحديث .

ثانيا : ان الشريعة الاسلامية صالحة للتطور وتصلح ان تكون مصدرا عالميا للقانون .

ثالثا : ان التشريع الاسلامى تشريع قائم بذاته وليس مأخوذا من غيره .

١٣ - العروبة والاسلام

ولقد ترابطت العروبة والاسلام فى الفكر العربى الاسلامى ترابطا يحول دون تقبل اى نظرية وافدة تتنكر لهذا المعنى .

« فالعروبة جزء من الاسلام بل هى نتاج الاسلام ،

فالاسلام هو الرابطة التي جمعت العرب كلهم على ايمان واحد ولولا الاسلام لبقي العرب في جزيرتهم قبائل متفرقة لا تدرك لها في تاريخ الحضارة الانسانية ، فللاسلام على العرب فضل توحيدهم وفضل اطلاقهم في معارج الحضارة وفي الحياة الاثنتانية ، ان العرب توجدوا بالاسلام ، وان الاسلام جعل منهم قوة عالمية حاملة لواء الحضارة» (1) اذ هم قاعدة انطلاق الدعوة .

وقد شجب الاسلام الدعوة العنصرية القائمة على التمس ، والانساب وصنع التفاضل بها ، يقول الفريد كانتول سميث : « الاسلام هو الذي خرج بالعرب من ديارهم الى العالم ، فالاسلام سبب عظمة العرب الدنيوية ، والعرب هم الذين نشروا الاسلام في بقاع الأرض » .

والعرب بالاسلام كل شيء والعرب بدون الاسلام لا شيء ، واذا ذل العرب ذل الاسلام ، وقد وردت احدى واربعون آية كريمة في القرآن عن صلة العرب بالاسلام ، والعرب كما قال عمر بن الخطاب : هم سادة الاسلام .

ولقد كانت « العروبة الحنيفية » هي مهاد الرسالات السماوية منذ فجر التاريخ وكانت دعوة ابراهيم هي مفهوم

(1) عمر فروخ : العروبة الفصحى .

السماء الذى جاء به الاسلام مجددا والذى كان محمد صلى الله عليه وسلم ختامه ، ومن هنا فقد كانت دائرة العروبة يقيمها الجغرافية والتاريخية مرتبطة بالاسلام ديناً ومنهج حياة ، ومنه انطلقت الرسالة وحملت الرسالة الى العالمين لتبليغها ، وما تزال العروبة منذ اوائل العصر الحديث تتجدد لتحمل رسالة الاسلام مرة اخرى الى الانسانية ، وان التحديات التى تواجهها اليوم فى اعماق اعماقها هى دعوة الباطل والوثنية التى حطمها الاسلام منذ بزوغه ، وما يزال قادرا على تحطيمها واعلاء كلمة الحق والتوحيد الخالص (١) .

١٤ - التاريخ الاسلامى

كشفت الاسلام صفحة فى التاريخ الانسانى لا تزال تهز النفوس وتعجز المعلقين والباحثين ، فان سرعة انتشار الاسلام واستطاعته فى خلال فترة تقل عن قرن من الزمان تحقيق نصر يبسط به جناحيه من حدود الصين الى حدود فرنسا ما زال معجزا للباحثين بمقاييس المذاهب المسادية وما زال عجبا فى تقدير الناظرين ان تنتصر الجيوش الاسلامية القليلة العدد على الجيوش الضخمة ، وقد جاوز هؤلاء جميعا تقدير قيمة العقيدة التى طرحها الاسلام فى العالمين ومدى اعجازها الذى يفوق كل المقاييس والمقدرات .

(١) راجع كتابنا : العروبة والاسلام .

ولا شك أن للإسلام تفسيره الذاتى الخالص للتاريخ
والذى يختلف اختلافا واضحا عن تفسير المذاهب والأمم
والدعوات الأخرى .

وقد صور هذا الفرد كانتول سميث حين قال :
« ان المسلم يحس احساسا جادا بالتاريخ ، انه يؤمن بتحقيق
ملكوت الله فى الأرض ، يؤمن بأن الله قد وضع نظاما عمليا
واقعيا يسير البشر فى الأرض على مقتضاه ويحاولون دائما
ان يصوغوا واقع الأرض فى اطاره ، ومن ثم فهو دائما يعيش
كل عمل فردى او اجتماعى وكل شعور فردى او اجتماعى
بمقدار قربه او بعده من ذلك النظام الذى وضعه الله والذى
ينبغى تحقيقه فى واقع الأرض لأنه قابل للتحقيق » .

وعبرة التاريخ الإسلامى هى ان المسلمين حملوا معهم
الى كل مكان : الحق والعدل ، وكانوا قادرين على الانماج
فى المجتمعات والتأثير فيها وبلورتها ، كما كانوا متفتحين ازاء
الثقافات والفلسفات والحضارات السابقة لهم والمعاصرة ،
يأخذون منها ويدعون ، على قاعدة فكرهم ووفق مقوماتهم
الأصيلة التى لم يتخلوا عنها ، سواء فى مرحلة البناء
حين واجهوا حضارات مختلفة او فى مرحلة المساومة
حين هاجمهم التتار والصليبيون والفرنجة .

ولم يكن تاريخ الإسلام هو تاريخ العظماء والملوك

والقادة ، وإنما كان تاريخ الجماعة الإسلامية كلها ولم ينظروا إلى التاريخ نظرا صوفيا أو قدسيا ، وقد كانت حركته ترمي دائما إلى المحافظة على وحدة الفكر وسلامة القيم الإنسانية وكان مفهوم التقدم في التاريخ الإسلامي ولا يزال أنه قوة دافعة إلى المستقبل ولكنه يعتمد على أسس ثابتة وواقع متحرك .

وقد طبعت روح الإيمان والاقدام والاستشهاد صفحات التاريخ الإسلامي ، ولم يكن خصوم الإسلام صادقين حين اذاعوا دعوى انتشار الإسلام بالسيف .

والحق أن الإسلام لم يرفع سيفا إلا حين خيل بينه وبين الكلمة ، وعندما تعرض وجوده للخطر ، وذلك في سبيل مقاومة المتآمرين عليه ، وقد وضحت هذه الحقيقة للباحثين المنصفين اليوم فالمسلمون لم يشاربوا إلا بعد أن استنفدوا كل وسائل الدعوة السلمية وأحسوا بأن خطرا يتجمع لاقتلاعهم .

وقد أشار تريتون إلى فشل نظريات الفكر المادى في تفسير تاريخ الإسلام فقال : « إذا صح في العقول أن التفسير المادى للتاريخ يمكن أن يكون صالحا في تعاليل معظم الظواهر التاريخية الكبرى وبيان أسباب قيام الدول وسقوطها فإن هذا التفسير المادى يفشل فشلا ذريعا حين يرغب في أن يعال وحدة العرب وغلبيتهم على غيرهم وقيام حضارتهم واتساع

رفعتهم وثبات أقدامهم فلم يبق أمام المؤرخين إلا أن ينظروا في الصلة الصحيحة لهذه الظاهرة الفريدة فראوا أنها تقع في هذا الشيء الجديد ، إلا وهو الإسلام . »

ومن أهم ما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال أن التاريخ الإسلامي لا يفسر إلا على أساس « التصور الإسلامي » والنظرة الإسلامية للحضارة الإنسانية ، أما محاولة تفسيره على مذاهب الغرب فإن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى نتائج خاطئة . ذلك أن المنهج الغربي في مجموعته يقوم على أساس من تجزئة الكون والطبيعة والفصل بين العلم والدين . ومن هنا يكون تطبيقه في قضايا الأدب أو التاريخ أو الأجناس والأمم أو فهم الإسلام كدين مصدر اضطراب كبير . وقد أخطأ جميع الذين اتخذوه أساساً لهم في أبحاثهم في هذه المجالات وانكشف عوار نظرياتهم بعد قليل . أما النظرة الإسلامية وروح الحضارة الإسلامية فتقوم على أساس وحدة الكون وانسجام قوى الطبيعة واتساقها ، والإسلام هو وحده الذي يحقق هذا المنهج ويختلف به عن جميع مناهج الفكر في الشرق والغرب (١) .

وقد أكد هذا المعنى العلامة محمد أسد (ليوبولد فابس) حين قال : « ان وجهة النظر الإسلامية مخالفة على كل حال

(١) راجع بحثنا عن التاريخ ، وكتابات أحمد نصيف

الجنائني .

لوجهة النظر الغربية الآلية ، فقد نفي الغرب فكرة الثبات على الإطلاق واستعاض عنها بفكرة التطور على الإطلاق أما الإسلام فيجمعهما « الثبات والتطور » وفكرة التطور المطلق لكل الأوضاع ولكل القيم والأصول التصور الذي ترجع إليه القيم فكرة تناقض الأصل الواضح في بناء الكون وفي بناء الفطرة الإنسانية ، فمادة الكون ثابتة الماهية تتحرك حول محور ثابت لا يتغير مطلقا وقيمة وجود تصور ثابت للمقومات والقيم ضرورى جدا ووجه الضرورة فيه هو ضبط الحركة البشرية » .

١٥ - التحديات في وجه الإسلام

ونحن الآن في هذه المرحلة الدقيقة من حياة العرب والإسلام يجب أن نذكر التحديات التي تواجه الفكر الإسلامى والثقافة العربية . هذه التحديات التي يقف من ورائها الاستعمار فى مختلف صوره وكذا الصهيونية وتقتضى منا مقاومتها والتنبه لها ، واليقظة الكاملة ازاء مخططات المتربصين ، وذلك بتفنيدها والكشف عن اكاذيبها وتزييف شبهاتها .

ولقد كان كهاج المفكرين المسلمين على مدى تاريخ الإسلام قائما فى سبيل تحرير الفكر الإسلامى من هيمنة الفلاسفات الوافدة عليه سواء منها اليونانية أو الفارسية القديمة .

وكانت اكبر دعوات الاصلاح والتجديد تستهدف تصحيح المفاهيم ومحاربة السيطرة الثقافية التى تفرضها القوى الأجنبية .

ولقد كان الفكر الإسلامى قادرا دوما على المواجهة والمقاومة ، فلم يستسلم للنظرية الوافدة مطلقا ، بل قاومها طويلا ، وأعلن وجهة نظره وكشف عن ذاتيته الخاصة .

وكل ما يشغل بال أعداء الفكر الإسلامى الآن هو انشاء عقلية عامة تحنقر كل مقومات الحياة الإسلامية بل والشرقية أيضا وابعاد العناصر التى تمثال الثقافة الإسلامية عن مراكز التوجيه ، وبذلك تستطيع قوى النفوذ الأجنبى تحقيق أهدافها دون مواجهة للقيم الإسلامية او دعاة الإسلام .

وسوف تكون رسالتنا هى رسالة الأسلاف فى الرفض بالسماح لشخصية الإسلام الحضارية أن تذوب وتقلشى فى أى شخصية حضارية أخرى .

وسيزل الإسلام هو أكبر مقوم فى فكرنا وحضارتنا ومجتمعنا ، لأنه بطبيعته أقرب الى الفطرة الإنسانية وأبعد عن التعصب ، وآمن بالخلق والتوحيد من العثار ، وأندر على اعطاء النفس البشرية حاجتها دون اغراقها فى الالحاد والاباحية ، غير أننا فى حاجة مستمرة ودائمة للعمل على

تصحيح المفاهيم والكشف عن الفوارق والخلافات بين مفاهيم الفكر الاسلامى وحضارته وبين الفكر الوافد الذى يدخل فيه نفوذ الاستعمار بأهدافه الرامية الى خلق ولاء وتبعية فكرية وثقافية بين العرب والمسلمين وبين الصهيونية والاستعمار .

ولذلك فان علينا ان نذكر دائما ان هدف التغريب والغزو الثقافى هو الحيلولة دون اللقاء العرب والمسلمين على قيمهم وتطبيقها فى مجتمعهم ، والعمل الدائم على منع قيام اللقاء الفكرى شامل ، او تزويب الخلافات وصهر العناصر فى سبيل وحدة فكر عربية اسلامية وابقاء سيادة الفكر العربى والحضارة الغربية .

ومن هنا فقد علا صوت الدعوة الى الربط بين الأصالة والتجديد على النحو الذى يحفظ ذاتية العرب والمسلمين وشخصيتهم وكيانهم ومزاجهم النفسى دون أن ينصهر فى بوتقة العالمية أو الأممية .

ذلك ان بين الماضى والحاضر والمستقبل فى مفهوم الفكر الاسلامى ترابطا وتكاملا لا سبيل الى تجزئته ، وحيث انه من العسير تصور الثقافة العربية منفصلة عن الفكر الاسلامى الذى يعد مصدرها الرئيسى والأصيل ، فقد طبع الاسلام الثقافة العربية فى الماضى ولا يزال يطبعها وسيظل يطبعها بطابعه الى امد غير محدود .

ولقد رفض الفكر الاسلامى مبدأ التقليد ومبدأ التبعية
أكد علماء المسلميين ان التقليد يمنع من الأصالة ، وان المعرفة
الجمعية ليست معرفة حقيقية ، ولا شك ان خطر التقليد ينطبق
على الماضى والوافد جميعا . ولقد كان من أبرز ما يتميز به
الفكر الاسلامى هو قدرته الدائبة على ان يأخذ حاجته
من اى ثقافة تفرض على امته ويرد الباقي ، فهو لا يأخذ
الا ما يزيده قوة وما يتفق مع مقوماته الأساسية .

وهو قادر على ان يحيل ما يأخذ الى كيانه ويشكله داخل
ارادته . ولذلك فان علينا لكى نحفظ بأصالتنا مع التجديد
ان نبقى على رسوخنا بالنسبة لنقطتين : مفهوم التقدم ،
ومفهوم سلامة المنابع .

وعلىنا ان نؤمن بأن لنا شخصية ولنا رسالة
الى الانسانية .

ولاشك ان نقل تعاليم الاسلام من المسجد الى مجرى
الحياة العامة هو الذى يعطى شخصيتنا قوة دافعة ، فلنجعل
الانتقال الى مجال التطبيق واعطاء تعاليم الاسلام صيغة
التنفيذ اول خطانا من اجل تحقيق حتمية التاريخ التى تولى
من شأن الحق وتزهق الباطل مهما علا واستطال .
والمسلمون مدعوون ان يقدموا للانسانية جوهر فكرهم ليهزم
الفكر الوثنى المادى الذى تشيعه الصهيونية وغيرها
من الاتجاهات المذهبية وتدفعه وتدافع عنه .

ان للاسلام ذاتيته الخاصة ، ولا ريب ان فترة الضعف
التي مرت بالعالم الاسلامي لا تمثل حقيقة الاسلام ، فالاسلام
في جوهره يعطى الأمم والأفراد كل عوامل القوة والحياة
والنماء ، ولقد كانت تجربته الأولى مضيئة مشرقة ، والاسلام
صالح لكل زمان ومكان وهو ليس تراثا موروثا ولكنه الدعوة
الخالدة من الحق تبارك وتعالى الى الناس جميعا .

ان الذين يردون ركود المسلمين الى الاسلام نفسه
يخطئون افدح الخطأ ، فان الاسلام براء من كل عناصر التأخر
والركود ، ولا ريب ان الاضمحلال والضعف الذي مر بالمسلمين
كان عن سبب واحد هو مصدر كل الأسباب ، ذلك هو انفصال
المسلمين عن اصول الاسلام ومقوماته واندفاعهم وراء فكر
غير فكرهم ومفاهيم غير مفاهيمهم ، او اندرانهم عن صراطه
المستقيم .

غير ان تاريخ الاسلام لم يخل قط في جميع مراحلها ،
حتى في اشد الظروف حلقة وظلاما من المصلحين الأحرار
والرواد النوابع ذوى العقول النيرة والهمم الصادقة ، الذين
توالوا ، عصرا بعد عصر ، يصححون المفاهيم ، ويلتمسون
المنابع الأولى والمصادر الأصيلة من القرآن والسنة الصحيحة
ويرفعون اعلام الهدى والرشد .

ولقد كان لتاريخ الاسلامى مواقف حاسمة وانتفاضات

قوية ، اسقط خلالها الفكر الإسلامى كل ما دخل الى جوهره من تقاليد غريبة عنه ، ومن طبيعة الاسلام تلك القدرة على رفض الدخيل ، قدرة الجسم الانسانى على رفض كل جسم غريب .

ولا ريب أن انبعاث المسلمين دوما ، وانبعاث كل الأمم ، مستمد من فكرها ومقوماتها ، وان الطريق الى حفظ الكيان هو حماية العقائد والأصول التى تقوم عليها الأخلاق من الشبه والشكوك ، ومصدر هذه الشكوك هى الفلسفة المادية التى يحمل لواءها الاستعمار والصهيونية من أجل توهين عقائد المسلمين والعرب .

ولا ريب أن أصالة الذاتية فى مواجهة خطر محو الذاتية هى قضية اليوم الكبرى ، وان أخطر الأخطار هو الفصل بين العلم والأخلاق أو المباعدة بين العقل والروح ، وتلك هى أزمة المجتمع الانسانى المعاصر ومصدر القلق والغربة التى يعانيتها بعض الشباب ممن فقدوا صلتهن بمقومات دينهم وفكرهم .

ان أزمة القلق والضياع التى يعانيتها الشباب المثقف انما تعود الى مصدر واحد :

هو أنه ترك قيمه الأصيلة وسبح بعيدا عن الشاطيء

بغير طوق النجاة . وكل ما يصادم الفطرة البشرية والطبيعة
الإنسانية لا يدوم ، وان الانحراف ليس طبيعة ولا كذلك
الإلحاد ، وانما هو مرض ، وان النفس الإنسانية تادرة
ان تعود كرة أخرى الى الخير وان تصح مسارها وكذلك
الأمم .

ان فكرنا العربى الاسلامى لا يقر الفصل بين القيم ،
وهو لا يفصل الأخلاق عن الأدب او السياسة او الاجتماع .
وهو فى هذا يختلف عن الثقافات الأخرى ، التى تؤمن بالتجزئة
والفصل بين القيم .

ولا ريب ان مصدر أزمة الحضارة اليوم هو هذا الفصل
بين القيم ، وقد أكد هذا المعنى عشرات من الباحثين ومنهم
« جود » فى كتابه عن المدنية الحديثة حيث يقول : « ان المدنية
الحديثة ليس فيها توازن بين القوة والأخلاق ، ومنذ عصر
النهضة ظل العلم فى ارتقاء والأخلاق فى انحطاط » .

ورسالة الاسلام فى هذا العصر للإنسانية كلها ولأهله
أولا هى : التوفيق بين العلم والأخلاق وبين الدنيا والآخرة
وبين الروح والمادة . وانه لابد من تحديد خط دقيق يفصل
بين الاقتباس والتبعية ، وبين التجديد والذوبان ، ولابد
من تحديد المواقف فى مصطلحات التربية والتعليم والفلسفة
والعلم .

فالعالم عالمى بطبيعته ، وهو ملك للإنسانية كلها .

ولكن الثقافة قومية ، والتربية قومية ، وان الدعوة الى عالمية الثقافة والتربية انما تستهدف القضاء على الأمم ذات الرسائل الكبرى وهى لم تخرج بعد من مراحل الضعف والتكامل .

وإذا كنا نحارب السيطرة الثقافية التى فرضتها أقوى الأجنبيّة فان ذلك لا ينفى الانفتاح على كل الثقافات ودراستها والأخذ منها بما يزيد شخصيتنا قوة ، ويدفعنا الى الأمام ، ويحفظ لنا ذاتيتنا وشخصيتنا .

ان وحدة الثقافة العالمية عبارة خلافة ولكنها تخفى فى أعماقها التعصب والاحتقار للثقافات الإنسانية ، وهى محاولة لاستيعاب كل ثقافات الأمم وعقائدها فى بوتقة الثقافة السائدة المسيطرة بالنفوذ الاستعماري .

ان من أكبر مهامنا بناء الشخصية العربية الإسلامية على منهج القرآن ، بالنص (القرآن والسنة) والتاريخ والقدوة ، وترقية النفس الإنسانية وتحريرها من قيود الشهوات بحيث تصبح ربانية الهدف ، فالنفوس التى صاغها الإسلام كانت قادرة على المقاومة للغاصب وتأكيد الحق ، وبذل التضحية الخالصة ، والعمل فى اتجاه الكمال الإنسانى .

لا سبيل الى اقامة وحدة فكر الا بتوحيد التربية والتعليم والثقافة ، ان وحدة التعليم هى اساس وحدة الفكر ووحدة الأمة .

علينا أن نوقظ مقوماتنا الأساسية التى عرفها التاريخ الإسلامى على طول مسيرته :

أولا — القدرة الدائمة على مقاومة كل عدوان .

ثانيا — القدرة على مقاومة كل مضاد لمفاهيمنا وقيمنا .

ثالثا — حماية مقوماتنا وأرضنا .

رابعا — تأصيل القوة المدخرة حتى فى أشد فترات الضعف وابتعائها .

ان يقظة الاسلام فى هذه المرحلة بعد ان كتب المسلمون كثيرا وحرروا مفاهيم الاسلام انما يتمثل فى كلمة واحدة هى :

تحويل الاسلام الى الايمان وتحويل الكلمة الى سلوك .

١٦ — وثائق خطيرة

ظهرت فى السنوات الأخيرة وثائق ذات دلالات تكشف أبعاد الخطر الذى يواجهه العرب والمسلمون من خلال

مخططات رسمت منذ سنوات بعيدة وظلت في طي الكتمان حتى أفلتت منذ قريب وكان حقا علينا أن نراجعها بدقة وأن نقف أمامها وقفة جادة وواعية ، والشباب المثقف مدعو الى ذلك بحكم المسؤولية التي ستلقى عليه في السنوات القادمة (١) وفي مقدمة هذه الوثائق بروتوكولات حكماء صهيون التي عرفت عام ١٩٠٢ ولم تصل الى العالم الاسلامي قبل عام ١٩٤٨ بعد أن حجبها النفوذ الفكري الغربي وهي تدور حول الأهداف والوسائل التي رسمتها الصهيونية العالمية للسيطرة العالمية والتي جعلت من قيام اسرائيل منطلقا لها .

* * *

وقد كشفت هذه الوثائق حقائق كثيرة تتعلق بتاريخ الاسلام المعاصر والحديث وخاصة فيما يتعلق بالرابطة بين العرب والدولة العثمانية وموقف السلطان عبد الحميد من الصهيونية العالمية وكيف اقتلعتة بعد أن أعلن أصراره على معارضة مشروعها في السيطرة على فلسطين . وهذا أيضا من الأمور الخطيرة التي حجبت طويلا عن العرب والمسلمين وتكشف أبعاد من هذا علاقة الماسونية بالصهيونية وهي النحلة التي خدعت الكثيرين ، ويكشف موقف الصهيونية من الحرب الباردة بين المعسكرين العالميين ومطامعهم في تحطيم القومات الأخلاقية والاجتماعية للعالم كله ولأصحاب الأديان ودورهم

(١) راجع كتابنا : الغروية والاسلام .

من وراء نظريات دارون ، ونيثشة ، وفرويد ، وغيرهم
ومن وراء المذاهب المادية والوجودية والمصلحة والاباحية
جميعا . كما تكشف هذه الوثائق عن محاولة تحطيم وحدة
العرب الجامعة بين افريقيا وآسيا ، وتبدو هذه المؤامرة
فيها يعرف الآن بتقرير كامل بترمان الذى عقد له مؤتمر
من الاستعماريين عام ١٩٠٧ وقرر اقامة حاجز بشرى
بين المسلمين والعرب فى افريقيا وآسيا وكان ذلك تمهيدا
للمخطط الصهيونى فى فلسطين وهناك عشرات من الوثائق
لا بد ان يطالعها الشباب المثقف ليعرف ابعاد الحياة الفكرية
والثقافية والاجتماعية التى نحيها والأخطار التى تهدد أمتنا .

وهناك الى جانب ذلك عشرات من الشبهات والتحديات
والأفكار الزائفة التى تطرح وتكرر وتعديل وتعاد صياغتها
وتظهر فى كتب أنيقة ومطبوعات براقية ، وتحت أسماء لامعة ،
مما نحن فى حاجة الى تفهمه ووضوح الرؤية بالنسبة له ،
ومما يدعوننا الى اعلاء نظرية عرفها الفكر العربى الاسلامى
قدما وهى :

١ - النظر الى ما وراء النصوص والكلمات .

٢ - قولوا من كتب أولا ، وهل هذا الكاتب مجروح
او مبطل او تابع .

٣ - لقد دعانا الاسلام الى التفرقة بين المعارف

الجوهرية والمعارف غير الجوهرية والنفاذ الى الزيف والصحيح ، فلا نخدعنا المقدمات ولا العبيارات الناعمة التي تخفى وراءها السم الزعاف. ونحذر من القول بأن الاسلام روحى فالاسلام انسانى جامع بين الروح والمادة ، ونحذر من كلمة علوم دينية وعلوم دنيوية انما هناك علوم عقلية وعلوم نفسية وروحية .

وان هناك شخصيات اربعا تتراءى من خلال كتابات التغريب ليست بالجزم واليقين هي شخصيتنا ولا واجدة منها : اليونانية الاغريقية ، والفرعونية الوثنية ، والجاهلية العربية ، والأوربية الغربية .

Religionx وليس في الاسلام رجل دين بمفهوم كلمة الفرنسية ، تلك معناها انه لا يصلح لفهم أمور المعاش بسبب انقطاعه عن صحبة الناس ، أما « عالم الدين » في الاسلام وليس رجل الدين فقد كان دائما من أئمة شراح القوانين المدنية ، ويرجع ذلك الى مفهوم الاسلام نفسه ، الذى هو دين ونظام حياة والذى يدعو أبناءه جميعا الى الاندماج فى المجتمع والأخذ من منافع الدنيا بتصيب فليس فى الاسلام طبقة معينة تدعى رجال دين لهم فى علاقتهم بالاسلام حقوق ليست لغيرهم وليس فى مفهوم الاسلام حكومة « ثيوقراطية » .

والتقدم فى مفهوم الاسلام : تقدم مادي ومعنوي معا .

وليس في القدر الاسلامي ما يبييت شجاعة المسلم
او يؤدي الى فتور همته .

ومفهوم التجديد في الاسلام هو مفهوم التجديد في العلم :
لا يمكن ان يقوم الا على اساس تعاون الماضي والحاضر ،
وبناء العقل في حاضره على ما أسس العقل في ماضيه (1)
ونحن نرى ان هناك تقاربا واضحا بين الفكر المادي والفكر
الوثنى جميعا وقريب منها مفاهيم الانحراف التي تعلى الروح
وتنكر الجهاد وتدعو الى السلام الكاذب مما ينسب الى تولستوى
وغيره مما لا يقره الاسلام .

ان كلمة القرون الوسطى المظلمة لا تمثلنا ولكنها تمثل
اوربا والغرب ، حين سقطت روما في القرن الرابع وعاتت
النهضة في القرن الرابع عشر ، أما نحن فقد قدمنا الضياء
للانسانية والعالم كله منذ بزوغ الاسلام في القرن السادس
خلال الف سنة كاملة ، ان القرون الوسطى تمثل اوربا
يقول دكتور لويجي رينالدى : قام المسلمون والعرب في ظلمات
بربرية القرون الوسطى بإعادة نور الحضارة والمدنية الذي
كان قد انطفأ في جميع بلاد الغرب والشرق حتى القسطنطينية .

ومن الحق ان يقال ايضا ان يقظة العالم الاسلامي

(1) عن المرحوم العلامة الدكتور محمد أحمد الغمراوي .

لم تكن بفضل الغرب ، فقد بدأت اليقظة من أعماقها وان هذه اليقظة بدأت منذ وقت طويل سابق للحملة الفرنسية وقد بدأت من قلب الجزيرة العربية ومن الأزهر الشريف قبل وصول الفرنسيين بأكثر من خمسين عاما ومعنى هذا ان يقظة الفكر الاسلامى العربى قد انبعثت من أعماقه وصدرت عن ناموس لا يتخلف فى الاسلام هو التجدد من داخل الكيان الاسلامى نفسه .

وبعد فان املنى حقائق ثلاثا أقدمها للشباب المثقف فى مطالع القرن الخامس عشر كاشفا عن رسالة الاسلام للانسانية :

الأولى : تؤكد ان المسلمين قادرون على استعادة دورهم وتقديم فكرهم للانسانية ، يقول برناردشو :

« فى المستقبل العاجل عندما يريد الرجال المفكرون ان يلجأوا الى دين يحمى الفضيلة ويقى المجتمع ، ويكون سببا للحياة السعيدة فى البشر فسيجدون الاسلام هو الدين الوحيد الذى يضمن لهم التقدم والنجاح والاسلام دين حرية لا دين استعباد وقد قرر اخوة الناس منذ الف وثلاثمائة وخمسين عاما ، وهو المبدأ الذى لم يعرف عند الروم السابقين ولا عند الأوربيين والأمريكيين الحاضرين » .

الثانى : يؤكد ثبات الاسلام فى كل ارض يدخلها .

يقول الين برودريك :

« ان الاسلام هو المذهب الوحيد بين المذاهب التبشيرية الذى لم يضعف فى الارض التى نبت فيها ويلاحظ انه عندما يفتح الدين الاسلامى بلدا ما يسيطر عليها كلية فانه لم يحدث ليومنا هذا ان خرج منها » .

الثالث : يؤكد قدرة العرب على قيادة النهضة الاسلامية .

يقول روم لاندو :

« لا يوجد سبب على وجه الاطلاق يبرر الزعم ان العربى فقد الصفات التى مكنت اجداده من ان يقيموا حضارتهم العظيمة فهو لا يزال يملك تلك الرجولة والمروءة وذلك الاستطلاع العقلى الحاد وذلك الخيال المبدع ولا يستطيع اى انسان ان يعيش بين العرب ولا يتاثر بانسانيتهم التى تعمر قلوبهم وكرمهم » .

تلك صورة فكرنا وشخصية امتنا فى نظر بعض المنصفين ولكننا يجب ان نقرر ان الصهيونية العالمية والاستعمار تعمل

من أجل تدمير ذاتية هذه الأمة ومقوماتها التي تتمثل في أصالة
فكرها المستمد من القرآن ، ومن أجل هذا تكون رسالة المثقفين
والباحثين تحرير المفاهيم وتصحيح الأخطاء ودحض الشبهات
والإلحاح الدائم بالكلمة على تذكير أمتنا بشخصيتها وذاتية
فكرها التي يجب أن تبقى قادرة وصامدة وأن تكون على صلة
لا تنقطع بمصادرنا الأولى ومنابعها الأصيلة فهي وحدها
القوة القادرة على مواجهة الأخطار ودفعها وتحرير الأرض
والفكر معا .

أنور الجندي



مجموعات الكتاب

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---------------------------|
| ٥ | مقدمة |
| ١١ | خصائص الاسلام |
| ١٣ | * التوحيد |
| ١٦ | * الحرية |
| ١٨ | * الأخلاق |
| ١٩ | * البطولة وعظمة الرسول |
| ٢١ | * الرسول |
| ٢٥ | * الفكر الاسلامي |
| ٢٧ | * المعرفة والعقيدة |
| ٢٨ | * منهج العلم التجريبي |
| ٣٠ | * حضارة الاسلام |
| ٣٨ | * القرآن الكريم |
| ٤١ | * الشريعة الاسلامية |
| ٤٢ | * العروبة والاسلام |
| ٤٤ | * التاريخ الاسلامي |
| ٤٨ | * التحديات في وجه الاسلام |
| ٥٦ | * وثائق خطيرة |

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٠/٥٣١٢
الترقيم الدولي ٣ - ٥٨ - ٧٣٢٨ - ٩٧٧

ذات الأعمى

للطبع والنشر والتوزيع
القاهرة ٨ شارع حسين حجازى
تليفون ٣١٧٤٨